

## تقدم علم الطب

٣

\* امراض نقص الغذاء \* من اغرب امور الامراض المتولدة من نقص الغذاء كالاسكريوط والبري بري وتأخر نمو الجسم والبولينيوريس (polyneuritis) وهذه ناشئة عن نقص المادة الضرورية للجسم التي تدعى فيتامين (Vitamin) نعم ان تركيب هذه المادة مجهول ولكن هناك ادلة علمية ظاهرة على تأثيرها في كيان الجسم لا تخفى على احد ان شأ بعض امراض العين ناتج عن فقدان الفيتامين من الطعام والحيوانات التي يتناول طعامها من هذه المادة اضعف اجساماً واقل نواً وتناسلاً من الحيوانات التي تتوانر هذه المادة في غذائها وهذه انكشافات لها شأن كبير في تغذية الاطفال اذ ثبت ان اهم عامل في مرض الكساح السبب عدداً من عاهات الاطفال وهزالهم هو قلة الفيتامين او فقده

\* نور الشمس الخزون \* ان كيفية حصول مرض الكساح وطرق الوقاية منه من القضايا العجيبة والبحث فيها نموذج لغيره من المباحث العلمية المعقدة التي يعانها عملة هذا العصر. ليس فقدان الفيتامين العامل الوحيد في احداث الكساح بل هناك عاملان آخران نقص الاملاح المعدنية من الغذاء وقلة التعرض لنور الشمس تعرضاً كافياً. فالاملاح المعدنية لازمة لنمو العظام ونور الشمس يهيئ عمل الجسم للانتفاع من المواد التي يأكلها ويتم بها تركيبه. ويعد من العجائب اكتشاف الدكتور ستينيك احد اساتذة جامعة وسكنسن والدكتور هس احد اطباء نيويورك انه من الممكن تخزين الاشعة التي فوق البنفسجي في بعض العقاقير الطبية كزيت كبد الحوت (زيت السمك) وذلك بتعريضه لنور الشمس لتخزن فيه الاشعة المذكورة وتم تعطى في ملقحة العلاج التي يشربها الطبيب في داء الكساح. هذا هو نور الشمس الخزون. وقد استعان علم الطب بالعلوم الاساسية في كشف هذه الحقائق كالكيمياء والطبيبات والتشريح والفيولوجيا التي اشترك كل منها في وضع الاساس الذي بنى عليه الاطباء طرق معالجتهم

كانت الامراض المجهولة السبب منذ عشرين سنة كثيرة العدد اما اليوم فهي في تناقص مستمر اذ تمكن الاطباء بحمد ومجته من معرفة العوامل المساعدة للعامل الاساسي ومن التغلب على المرض دون معرفة السبب الاصيل وبما يؤيد ذلك ما اذيع عن شفاء بعض

حوادث الصرع وفقر الدم الخبيث والسرطان من غير عملية جراحية في حوادث السرطان وقد تقدم الباحثون خاصة في معرفة بعض العوامل المساعدة في أحداث السرطان فإن التهيج الزمن الناشئ عن الاحتكاك والحرارة والمواد الكاوية وغيرها يهيج نمو هذا الداء وقد تكون لطمة عنيفة كافية لتهيج النمو السرطاني الخبيث المعروف بالباركوما وقد تمكن العلماء من نقل السرطان من حيوان الى آخر وخطوا ان الوراثة قد تكون من العوامل في احداثه ولكن كثرة اختلاط البشر وتزاوجهم تجعل النتيجة الغلبة تختلف كل الاختلاف عن نتائج البحث العلمي في المختبرات ولذلك لا يأبهون كثيراً لهذا العامل اي عامل الوراثة ولا يدونه من العوامل الفعالة. وعلى ذكر تقدم الطب في اكتشاف اسباب الامراض المجهولة يجدر بنا ان نذكر التقدم الذي تم في تشخيص الامراض

كيف يشخص الطبيب \* ان الطبيب بأل المريض عن شكواه الرئيسية أولاً وعن مدتها وعن تاريخ عائلك ليعلم هل هناك مرض وراثي ثم يفحص التغيرات الظاهرة في الجسم ويستعين احياناً بالمرأة والنور ليبري داخل المعدة والمثانة والاذن والانف والخلق. ويمكن بواسطة اشعة اكس ويختن المواد الى الجوف او الرحم من درس الاعضاء الداخلية كذلك يمكن باشعة وتبين من رسم الاعضاء الداخلية كثافة البيض مثلاً. ثم يبدأ يفحص المريض بالجلس باحثاً عما هو غير طبيعي في الجسم وبالطبع يحتاج هذا الفحص الى خبرة عظيمة في معرفة حالة الاعضاء الطبيعية. ويمكن الطبيب بواسطة السمع من معرفة حالة الاعضاء الداخلية كالقلب والرئتين وما اشبه وبواسطة القرع هل تحت الجلد تجوف فارغ او تجوف فيه غاز او سائل او نسج محتقن. يضاف الى ذلك مختلف الكواشف التي تعين الطبيب كثيراً في تشخيص الامراض

فمن فحص الدم يبين هل يقوم الجسم بتحميل الطعام وطرح الفضلات حق القيام ويمكن كشف سكر في الدم وانيتروجين وما بتركب منه او الحوامض والفوريات. وينبثا عدد كريات الدم الحمراء هل المريض دموي او مصاب بفقر الدم ونظم من عدد كريات الدم البيضاء ونسبة انواعها بعضها الى بعض امراض تلك الكريات وغيرها من الطلل التي تزداد فيها الكريات او تنقص كالتراخينا مثلاً (trichinosis) الناشئة عن اكل لحم الخنزير المصاب او المعدي ففيها يزداد عدد الكريات

ويستعين الطبيب احياناً علاوة عما ذكر من الوسائط البسيطة ببعض الوسائط المركبة سواء كانت كيميائية او آليّة (ميكانيكية) كاستعمال الالكتروكارديوغراف

لتصوير موجات ضربات القلب وحتن بعض الاصباغ وغيرها من المواد الكيماوية التي تفرز و يظهر اثر افرازها فبعلم الطبيب هل العضو الذي تفرز منه قائم بوظيفته حق القيام واذا سلبا يتقدم فن المعالجة قبل الخمسين سنة الماضية عن غيره من فروع الطب فلا يستعان ان نكر ان المعالجة كانت امراً اختيارياً في ذلك العهد سبباً على شاهدة الوف الحوادث اي كانوا يصفون الدواء دون معرفة سبب الداء او التأثير الذي يحدثه في الجسم بل جل ما كانوا يعرفونه ان الدواء الفلاني نافع في المرض الفلاني وقد ذكرنا بعض العقاقير التي لها تأثير نوعي في بعض الامراض فقد عرفوا فائدة الزئبق في السفلس وفي تسهيل حركة الاسماء كالزئبق الحد (الكامل) وعرفوا ان الكينا ضد الملاريا وقد بين ولهم ودرنغ تأثير الدجتلين في ادرار البول وتقوية ضربات القلب وعرفوا منافع كثير غيرها من العقاقير النباتية وبفضل هنن والبرخت قرون هل كشفت عقاقير كباوية جديدة ثبت منافع كثير منها بالتجربة والتحليل

وتقدمت الكيماة تقدماً بطيئاً لكنه تقدم حقيقي ثابت تم بواسطته اكتشاف كثير من العقاقير الطبية . ان تقدم فن العقاقير في الخمسين سنة الاخيرة لا يضاهيه تقدم في القرون الاولى وما لا ريب فيه ان استعمال العقاقير الاختياري في العصر الحالي كان محتاجاً الى الطرق العلمية الحديثة لتفسير تأثيره ونرى حتى اليوم بعض العقاقير المستعملة في بعض الامراض كالطبيب لفر الدم والزرنيخ لانما خلايا جديدة في الدم واليود لتقوية الجسم من غير ان نعرف كيفية فعلها وسر تأثيرها

❖ الاصباغ العادية تقتل الجراثيم ❖ وكما توجد عقاقير مجبولة التأثير فهناك عقاقير معروفة تأثيرها ومفهوم فعلها كأملاح الزرنيخ في الجراثيم اللولبية والسفرمان في السفلس وزيت الشوجرا في الجذام والكينا في الملاريا والكندين (Quinidine) في اختلاج القلب والدجتلين في تقوية ضربات القلب والنيول فتانين (Phenolphthalein) في تهيج الجهاز المعوي . فائدة هذه العقاقير في الادواء المذكورة وقطعاً محسوسان لا ينكران . وادعش بما ذكرنا في هذا الفن توصلهم الى استعمال الاصباغ المقرونة بالمطهرات في قتل الجراثيم كالاكريفلاتين والتركوروم والنومرين وغيرها مما له تأثير في بعض الجراثيم المعدية كالستربتوكوكس والسفالوكوكس وقد تبين من التجارب ان لبعض هذه المركبات اثر في بعض امراض العين وغيرها من الالتهابات الخارجية ❖ الموصول ❖ وتنبعث الآن عن الموصول والانتحة التي يشوه سميتها كثيراً



كالمورفين مقدمة للتخدير (التبئج) فتسرع تأثيره وتقلل المقدار اللازم من المخدر. ان كل هذه المكتشفات سهلت عمل الطبيب وصيرته أكثر عناية ودقة في العمليات الجراحية اذ يجد الوقت الكافي لاجراء اي عملية مما طال وقتها (ضمن الحدود الطبية) ويتمكن من الوصول الى اعضاء كانت بعيدة المنال بمد الوصول اليها مسخلاً. وقد احييت هذه المكتشفات انفساً عديدة لان الناس كانوا قديماً يجحدون عن عمليات كثيرة تعد في نظر الجراحة الحديثة من البساطة بكان وقد مهد السبل للتخدير الموضعي معرفة جذور الاعصاب وتفرعاتها وطرق سيرها فيتمكن الجراح من تخدير العصب مباشرة ومنع حاسة الالم من الوصول الى الدماغ. وانعاقير المستعملة لهذه الغاية كثيرة فصار الطبيب يجري العملية الآن والمرضى ينظر اليه غير متألم او منطرب وهذه الطريقة تخفف صدمة العملية وتزيد مقاومة الشخص

كانت العمليات محصورة قديماً في البتر واستئصال بعض الاعضاء التي طرأ عليها الهراء كالتهاب الزائدة وهراء المبيض وما اشبه. اما اليوم فيدخل الجراح البطن غير مبال ويقطع بعض الاحشاء ويوصل بعضها ببعض ويتأصل الكلية او الطحال او المرارة واهل جراً

وقد مكنتهم درس حركات النفس من استنباط غرف خاصة يجرون فيها عمليات على التخريف الصدري وتوصل بعض الباحثين في بوسطن الى ادخال انبوب في قلب نابض وقطع صمامة ضيقة فيه كانت تهدد حياة احد الاولاد. اما الدماغ الذي كانت العمليات فيه محظورة منذ قرن فقد اصبح الآن تعمل فيه عمليات لاستئصال ورم او بضع خراج وغيرها من العلل التي كانت مميتة قبلاً وبالطبع انهم يشخصون المرض تشخيصاً دقيقاً وينبטون موضع العملية ضبطاً تاماً قبل اجراء عمليات كهذه ويستعينون لهذه الغاية بتصوير الدماغ وقياس ضغط الدم فيه بالدقة ويجرون عدة تجارب لاستكشاف مراكز الحواس ومعرفة وظائف الدماغ وبراسة هذه التجارب يتمكنون من تعيين موضع الخلل. وليست عجائب الجراحة في الدماغ محض وهم بل هي حقيقة برزت الى حيز العمل وتحققت نتائجها الباهرة

✽ ضرورة التفكير في معالجة السرطان ✽ ان همة العلماء منصرفة اليوم الى معرفة سبب السرطان ولا بد من بلوغ ضالته المشوذة اما عاجلاً او آجلاً ولكن مما لا ينكر ان معالجة هذا الداء تقدمت تقدماً باهراً والحوادث التي شخص فيها باكراً واجرت فيها

العمليات الجراحية فبجحت نجاحاً تاماً فلم تغل حياة المريض فقط بل تم له الشفاء التام وفضلاً عن الوسائط الجراحية يستخدمون الوسائط الطبيعية كالتي بآلية حرارة أو كيميائية - واسعة آكس التربة تنيد جداً في قتل خلايا السرطان وسع نمو غيرها وكذلك الراديوم أو الأشعاع الصادر منه . ان اهم الامور في معالجة السرطان هي تشخيصه باكراً حتى سرت عدواه في الجسم تعذرت معالجته

✽ الخاتمة ✽ انخفضت وفيات السل اكثر من النصف ولم تعد حتى التيفويد تهدد الذين يهتمون بالمحافظة على صحتهم والعناية بنظافة مياههم ولبنهم ومراحيضهم لتكون في مأمن من العدوى وكذلك ادى الاعتناء بمراقبة الاطعمة الجديدة ( النازة ) والمختزلة الى منع انتشار كثير من الامراض التي تنتقل بواسطة الطعام . وآلت شدة العناية بالاطفال الى تقليل وفياتهم وصار مولود اليوم اكثر املاً بطول الحياة من وُلد منذ خمسين سنة فان الطفل الذي كان قِليلاً يقع ان يعيش ٣٥ - ٣٦ سنة صار اليوم متأكداً ان يعيش ٥٠ - ٥٥ سنة ( هذا في بلادهم )

يبي على الطب ان يتغلب على الامراض التي تخطف المرء وهو في مقتبل الحياة فتقصر معدل اعمار الناس واهمها امراض القلب والادعية الدموية والكليتين قرص يربط والتهاب الكلى المزمن وارتفاع الضغط الدموي وتعلب الشرايين والتهاب بطانة القلب وحياتانه من الامراض الفتاكة وانفل طريقة للانتصار عليها هي تعليم عامة الناس ليتعاونوا مع الاطباء في مكافحتها . فالرعاية منها تتوقف على تعليم الناس كباراً وصغاراً للاعتناء بصحتهم والمحافظة على نظافة حلوقهم وانوقهم واجوانهم بانواع القواعد الصحية كالاعتدال في الاكل والرياضة الجسدية والراحة والابتعاد عن المؤثرات المضرة وما يجلب الهم والكدر لان الراحة الجسدية والعقلية ضروريتان لاطالة العمر

يعتقد كثيرون من ثقافات الاحصائيين الذين درسوا هذه المباحث حتى المدرس انه متى فاز الطب على الامراض التي ذكرناها واصبح شفاؤها ممكناً يزداد معدل العمر خمس سنوات ولا يتجاوز هذا الحد تجاوزاً عظيماً

ان سير المدنية الحديثة سريع جداً والناس يجهدون قواهم الجسدية والعقلية فاذا تمكن علم الطب والحالة هذه من زيادة معدل العمر خمس سنوات علاوة على الزيادة التي نوهنا بها يكون قد اتي عجيبة لم يحلم بها الاطباء

الدكتور شريف عسيران ( انتهى )